

خطبة مختصرة في مقتضيات الإيمان باليوم الآخر - جزء ٤ (عشرة أوصاف للجنة)

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. أما بعد، فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. عباد الله، اتقوا الله تعالى وراقبوه، وأطيعوه ولا تعصوه، واعلموا أن الله حكيم في تشريعہ، حكيم في تقديره، حكيم في جزائه، وإن من حكمة الله تعالى أن جعل لهذه الخليقة معادًا يجازيهم فيه على ما كلّفهم به على السنة رسله، قال تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ * فتعالى الله الملك الحق ﴿﴾.

أيها المؤمنون، تقدم الكلام في خطبة ماضية عن بعض مقتضيات الإيمان باليوم الآخر، وهي النفخ في الصور، وعلامات الساعة الكبرى، وبعث الخلائق، وحشر الناس إلى أرض المحشر، والجزاء والحساب، واليوم نتكلم بإذن الله عما أعد الله للمؤمنين في الجنة.

١. عباد الله، ومما يدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة والنار، وأنهما المآل الأبدي للخلق، فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين، الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم من الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم)، فيها من أنواع النعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ﴾، وقال تعالى ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

٢. معاشر المؤمنين، والجنة مئة درجة، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: الجنة مئة درجة، ما بين كل درجتين مسيرة مئة عام، وقال عفان: كما بين السماء إلى الأرض -، والفردوس أعلاها درجة، ومنها تخرج الأنهار الأربعة، والعرش من فوقها، وإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس^١.

٣. أيها المسلمون، والجنة جنان متعددة، وليست نعيما متساويا، بل النعيم فيها متفاوت، وأهلها يتفرون فيها بحسب أعمالهم الصالحة، فجنتان جميع ما فيهما من ذهب، وجنتان جميع ما فيهما من فضة، كما قال تعالى في الجنتين الأوليين ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾، ثم قال في الجنتين اللتين هما دونهما في النعيم ﴿ومن دونهما جنتان﴾ .

روى ابن جرير الطبري بسنده في تفسيره هاتين الآيتين عن أبي موسى الأشعري مرفوعا: جنتان من ذهب للمقربين، وجنتان من ورق (أي فضة) لأصحاب اليمين.

وعن عبد الله بن قيس رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن^٢.

عباد الله، ويحسن هنا التنبيه إلى الفرق بين السابقين وبين أصحاب اليمين، فالسابقون هم القائمون بالفرائض والنوافل المنتهون عن المعاصي والمكروهات، وأما أصحاب اليمين (ويعبر عنهم أيضا بالأبرار) فهم القائمون بالفرائض المنتهون عن المعاصي، أما النوافل فلم يحرصوا عليها على الوجه الأكمل، وربما وقعوا في بعض المكروهات، وأما المعاصي فكلما الفريقين منكف عنها سواء كانت من الصغائر أو الكبائر، وهم يبادرون بالتوبة، ويكون حالهم بعدها أكمل من حالهم قبلها، ولكن انكفاف السابقين عنها أعظم.

^١ رواه أحمد (٣١٦/٥)، وصححه إسناده محققو «المسند».

^٢ رواه البخاري (٧٤٤٤) ومسلم (١٨٠).

وتفضيل السابقين على الأبرار في الثواب ظاهر سببه، فإن السابقين قد بذلوا وسعهم في طاعة الله والحذر من معصية الله، كما نفَعوا غيرهم من الناس، من دعوة وأمر بمعروف ونهي عن منكر وجهاد وصدقة وإصلاح ذات البين وبناء مساجد ونحو ذلك، أما الأبرار فهم دون السابقين في ذلك.

ومن دلائل تفضيل السابقين على الأبرار قوله تعالى عن السابقين ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب﴾، وقال عن الأبرار ﴿وَحُلُوا أساور من فضة﴾.

وقد أشار الله تعالى إلى الفرق بين نعيم السابقين المقربين وبين نعيم الأبرار أصحاب اليمين في مطلع سورة الواقعة وآخرها.

٤. عباد الله، وأهل الجنة من أهل الوصف الواحد يتفاوتون فيما بينهم، فالسابقون المقربون يتفاوت بعضهم عن بعض في النعيم بحسب أعمالهم، وكذلك الأبرار أصحاب اليمين، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم. قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين.^١

٥. أيها المسلمون، ونعيم أهل الجنة يزاد ولا يبلى، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله، لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً.^٢

٦. عباد الله، ومن أعظم نعيم أهل الجنة نساؤها، فقد دلت النصوص على أن لكل مؤمن في الجنة حورتين، مع نساته اللاتي كنَّ معه في الدنيا، ويزيده الله من الحور العين ما شاء بحسب عمله، وقد جاء في إثبات نعيم الحور آيات وأحاديث، منها قوله تعالى (وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ)، قال السعدي رحمه الله: الحوراء التي في عينها كحلٌّ وملاحة، وحسنٌ وبهاء، والعين: حسان الأعين وضخامها، وحسن العين في الأنتى من أعظم الأدلة على حسنها وجمالها. وقوله (كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ) أي كأنهن اللؤلؤ الأبيض الرطب الصافي البهي، (المكنون) أي المستور عن الأعين والريح والشمس، الذي يكون لونه من أحسن الألوان، الذي لا عيب فيه بوجه من الوجوه، فكذلك الحور العين، لا عيب فيهن بوجه، بل هن كاملات الأوصاف، جميلات النعوت، فكل ما تأملته منها لم تجد فيه إلا ما يسر خاطر ويروق الناظر. انتهى.

وفي آية أخرى جاء في وصفهن قوله تعالى (كأنهن الياقوت والمرجان)، أي كأنهن الياقوت في الصفاء، والمرجان في البياض.^٣ وقال تعالى في وصف نساء الجنة في سورة الواقعة: (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْسَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * غُرُبًا أَتْرَابًا)، وقوله (غُرُبًا) يعني: متحبيبات إلى أزواجهن، وقوله (أتراباً) يعني في سن واحدة ثلاث وثلاثين سنة.

كما وصفهن الله بالطهارة فقال: (وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)، قال ابن القيم: طَهَّرَنَ من الحيض والبول والنحو (أي الغائط) وكل أذى يكون في نساء الدنيا، وطَهَّرَت بواطنهن من العيرة وأذى الأزواج وتَجَنَّبَنَ عليهم وإرادة غيرهم. انتهى.^٤

^١ رواه البخاري (٣٢٥٦) ومسلم (٢٨٣١).

^٢ رواه مسلم (٢٨٣٣).

^٣ رواه ابن جرير في تفسير الآية عن ابن زيد.

^٤ «روضة المحبين»، الباب التاسع عشر، ص ٣٤٨، تحقيق: محمد عزيز شمس، الناشر: دار الفوائد - مكة.

كما وصفهن الله تعالى بأنهن قاصرات طرفهن (أي أنظارهن) على أزواجهن فقال: (فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ)، وقال: (خَوْرٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ). قال ابن القيم رحمه الله: وَوَصَّفُهُنَّ بِأَنَّهُنَّ (مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ) أي ممنوعات من التبرج والتبذُّل لغير أزواجهن، بل قد قُصِرْنَ على أزواجهن، لا يخرجن من منازلهم، وقُصِرْنَ عليهم فلا يُردن سواهم، ووصفهن سبحانه بأنهن (قاصرات الطرف)، وهذه الصفة أكمل من الأولى، فالمرأة منهن قد قُصِرَتْ طَرْفُهَا (أي نظرها) على زوجها من محبتها له ورضاها به، فلا يتجاوز طرفها عنه إلى غيره. انتهى.^١

وقد جاء في السنة ما تحار فيه العقول في وصف جمالهن وحسنهن، ومن ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم كأشد كوكب دُرِّيٍّ^٢ في السماء إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض، لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين، يُرى مَخُّ سوقهن من وراء العظم واللحم من الحسن.^٣

قال ابن حجر رحمه الله: المخ ما في داخل العظم، والمراد به وصفها بالصفاء البالغ، وأن ما في داخل العظم لا يستتر بالعظم واللحم والجلد. انتهى.^٤

الحور التي يحار فيها الطرف (أي النظر)، يَبْأُ مخ سوقهن من وراء ثيابهن، ويرى الناظر وجهه في كَبِدٍ إحداهن كالمرأة من رقة الجلد وصفاء اللون.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، ولمألت ما بينهما ريحا، ولنصفها (أي خمارها) على رأسها خير من الدنيا وما فيها.^٥

وللفائدة، فقد سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: هل الأوصاف التي ذكرت للحور العين تشمل نساء الدنيا؟ فأجاب: الذي يظهر لي أن نساء الدنيا يكنَّ خيراً من الحور العين، حتى في الصفات الظاهرة، والله أعلم.

٧. أيها المسلمون، ومن نعيم الجنة شرايها، وهو أربعة أنواع، الماء واللبن والخمر والعسل، كلها تجري في أنهار، يشرب منها المؤمنون، قال تعالى (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى)، فقلوه في الماء (غير آسن) أي غير متغير بطول المكث، وقوله (من خمر لذة للشاربين)، فيه تنبيه على أنها ليست مُرَّةً كخمر الدنيا بل عذبة، وجاء في آية أخرى أنه ليس فيها غول، أي لا تتسبب في وجع البطن، (ولا هم عنها يُزْفون) أي لا تذهب عقولهم بسببها، وقوله (من عسل مصفى) فيه تنبيه إلى أنه قد صُفِّي من القذى والشوائب التي تكون عادة في العسل.

٨. ومن نعيم أهل الجنة طعامها وفاكهتها، فقد ثبت في السنة الصحيحة أن ضيافة أهل الجنة أول دخولهم لها زيادة كبد حوت، أي أطراف الكبد لأنها ألد، وذلك في حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن حبرا من أحبار اليهود جاء يسأل النبي صلى الله عليه وسلم يختبره عن بعض المسائل، فجاء في حديثه أنه سأل فقال: فَمَا تُحَفِّثُهُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ (والتحففة هو أول ما يقدم للضيف من طعام ليلاطف ويستأنس)، قَالَ: زِيَادَةُ كَبِدِ التُّونِ (أي الحوت). قَالَ: فَمَا غَدَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا؟ قَالَ:

^١ «روضة المحبين»، الباب التاسع عشر، ص ٣٤٨، تحقيق: محمد عزيز شمس، الناشر: دار الفوائد - مكة، باختصار يسير.

^٢ أي متلألئ.

^٣ رواه البخاري (٣٢٤٦) ومسلم (٢٨٣٤).

^٤ «فتح الباري» (٣٧٥/٦).

^٥ رواه البخاري (٢٧٩٦).

يُنْحَرُّ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا. قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ... إلى آخر الحديث.^١

وقد ورد في طعام أهل الجنة وفاكهتهم نصوص كثيرة، لا يتسع المقام لذكرها، يجمعها قوله تعالى (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون).

٩. أيها المؤمنون، وأعظم نعيم لأهل الجنة رؤية وجه الله في الآخرة، فعن صهيب الرومي رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة؛ يقول الله تعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم نُبَيِّضْ وجوهنا؟ ألم تُدْخِلْنَا الجنة وتُنَجِّنَا من النار؟ فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم.^٢

عباد الله، والكلام في الجنة ونعيمها يطول، ومن أراد التوسع في معرفة الجنة وأوصافها وأوصاف أهلها فعليه بكتاب «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» لابن قيم الجوزية رحمه الله.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد، فاعلموا رحمكم الله أن موسى سأل ربه فقال: يا رب ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجلٌ يجيء بعدما يدخل أهل الجنة الجنة فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مَلِكٍ مَلِكٍ مِنْ مَلُوكِ الدُّنْيَا؟ فيقول: رضى رب، فيقول: لك ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضى رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتتهت نفسك ولدت عينك. فيقول رضى رب. قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر.^٣

١٠. عباد الله، والجنة والنار باقيتان لا تسيدان ولا تفنيتان، والدليل على هذا ظاهر القرآن والسنة، فقد ورد تأييد خلود المؤمنين في الجنة وخلود الكفار في النار في عدة مواضع من القرآن، ومن قال بأنهما تفنيتان فقله ضعيف لا يعول عليه، لأنه خلاف ظاهر النصوص، وقد خاطب الله الناس بما يفهمون، فالواجب إمرار النصوص كما جاءت بلا تحريف ولا تكلف.

١١. معاشر المؤمنين، والجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين﴾، والشاهد قوله ﴿أعدت﴾.

والدليل من السنة قول النبي (صلى الله عليه وسلم) لبلال: حدّثني بأرجى عملٍ عملته عندك في الإسلام منفعاً، فإني سمعت الليلة حشفت نعليك بين يدي في الجنة.^٤

ومن الأدلة كذلك على أن الجنة مخلوقة الآن قوله (صلى الله عليه وسلم): **أُدخِلت الجنة، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا تراثها المسك.**^٥

^١ رواه مسلم (٣١٥).

^٢ رواه مسلم (١٨١).

^٣ رواه مسلم (١٨٩) عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

^٤ رواه البخاري (١١٤٩) ومسلم (٢٤٥٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.

^٥ الجنابذ هي القباب، واحدها جنبذة.

^٦ قطعة من حديث الإسراء الطويل الذي رواه مسلم (١٦٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وبعد عباد الله، فهذه عشرة أمور داخلية في الإيمان بالجنة، ينبغي لكل مؤمن أن يعلمها، لتكون الجنة منه على ذكرٍ، فينشط للعمل، ويحذر التقاعس والكسل. ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. اللهم صل وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أعد الخطبة: ماجد بن سليمان الرسي، واتس: ٠٠٩٦٦٥٠٥٩٠٦٧٦١، وهي منشورة في

www.saaid.net/kutob